مناقشة آراء في تقييم الثورة الفلسطينية

منير شفيق

نشرت ، في العيد العاشر لانطلاقة الثورة الفلسطينية ، مجموعة من المقالات تقيم مرحلة العشر سنوات الماضية في تاريخ الثورة الفلسطينية . وقد حاولت بعض تلك المقالات ، تحت ستار الاحتفاء بهذه الذكرى ، وتحت مظلة تأييد الثورة الفلسطينية ، ولو ظاهريا ، تمرير عدد من الموضوعات التي تنسف من الاساس أهم منطلقات الثورة الفلسطينية ، وعلى التحديد ، حركة فتح ، وتدين كثيرا من أهم مواقف الثورة وسياساتها وذلك عن طريق تجديد طرح تلك الموضوعات القديمة التي كانت دائما نقيضا للكفاح الشعبي المسلح الفلسطيني وخطه السياسي . ولهذا كان لا بد من مواجهة أهم ما طرح من تلك الموضوعات والرد عليها من أجل تحقيق هدفين: (١) اعادة التأكيد على صحة منطلقات الثورة التي أريد نسفها أو بعبارة أدق ، التأكيد على صحة استراتيجية وتكتيك الثورة الفلسطينية . (٢) تصفية ما لحق من تشويه بحقائق تمس تاريخ الثورة الفلسطينية ، وهي حقائق تحمل صفة الوقائع التاريخية التي يمكن ان تختلف الآراء في تقييمها ، ولكن لا يجوز أن يتلاعب فيها .

أولا : هل كان التأكيد على الكفاح المسلح « أوهاما » ؟

لقد ذهب البعض الى تخطيء الثورة الفلسطينية في تأكيدها على استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد من أجل تحقيق هدف تحرير فلسطين ، معتبرا ان ما تم من تكريس لخط الكفاح المسلح قد قام على « أوهام » تراكمت في رؤوس قيادات الثورة نتيجة بعض المعارك مثل معركة الكرامة . أما تفسير ذلك فيرجع الى مستوى النضج السياسي المتدني الذي كانت قد بلغته هذه القيادات . ولكن على اي أسس يقوم هذا التجريح ؟ انه يرتكز ، أولا ، على معارضة استراتيجية وتكتيك حرب الشعب بابراز أهمية العمل السياسي ، أو النضال السياسي . وذلك عن طريق الترويج لمغالطة تفصل فصلا تعسفيا بين الكفاح المسلح وبين السياسة . فمن جهة ينكر على الثورة الفلسطينية ، ومن خلالها على مفهوم استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد ، الوجه النضالي السياسي الذي يشكل مع الكفاح المسلح كلا واحدا . أو بعبارة اخرى ، يراد أن يعطى الكفاح المسلح مجرد صفة القعقعة بالسلاح، او ارتطام السلاح بالسلاح، وبهذا يطمس ما هو جوهري في هذا الموضوع . أي ان الكفاح المسلح هو سياسة محددة ولا يمكن أن يكون غير ذلك . واذا أريد أن يفهم ذلك النقد على حقيقته فيجب ان ينظر اليه بأنه يعارض سياسة محددة بسياسة محددة . انه يعارض سياسة حرب الشعب لتحرير فلسطين بسياسة الدبلوماسية والمؤتمرات الرباعية ومؤتمر جنيف ضمن اطار قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ولهذا فان مناقشة هاتين السياستين لا يجوز أن تقوم على أساس معارضة الكفاح المسلح بابراز أهمية العمل السياسي . لان استراتيجية وتكتيك حرب الشعب لها سياستها استراتيجيا وتكتيكيا وفي مختلف المجالات ابتداء من التعبئة السياسية للشعب ومرورا بمواجهة سياسة العدو والعمل